# الشعر الثوري في الأدب المعاصر ..

بقلم ملك عبد العزيز

عندما تلقيت رسالة الصديق الدكتور سهيل ادريس ، يعهد الي فيها بالكتابة عن الشعر الثوري في ادبنا المعاصر ، كان من الطبيعي ان يتبادر الى ذهني اول مايتبادر ـ الشعر الوطني وشعر المعارك التحررية التي يخوضها اليوم عالمنا العربي . ولكني لم ألبث قليلا حتى ادركت ان الشعر الثوري وان كان بلا شك يشمل ذلك النوع من الشعر الذي اشرت اليه ، والذي يمثل جانبا كبيرا منه ـ الا انه مع ذلك اشمل منه واوسع مدى . فالنفس الشاعرة تثور لدوافع متباينة مختلفة ، تختلف باختلاف مشاكل الحياة وتباينها .

والثورة هي سخط على وضع قائم فاسد ، وحركة عنيفة لتغيير ذلك الوضع والقضاء عليه من اجل ارساء القواعد لاوضاع جديدة تطابق المثل العليا التي يهدف اليها الثائرون . وهذه الاوضاع الفاسدة التي يسعى الثائرون للقضاء عليها قد تكون اوضاعا وطنية او قومية ، عنصرية او انسانية ، اجتماعية او خلقية ، وان كان الترابط والتفاعل موجودين دائما بين الكثير من هذه الانواع ، وفيها جميعا تكون الكلمة الشاعرة هي المحرك والوقود ، بل هي المبشر والمنبىء ، وهي المؤيد والممجد ، وهي المثبت لاركان الثورة اذا قيض لها النجاح .

والثورة الوطنية ضد الاستعمار كانت دائما ثورة ضد المستبدين والطغاة من الحكام العرب ، أولئك الذين كانوا دائما مطية المستعمرين ، وحلفاءهم يكممون الافواه ويحكمون بالحديد والنار لانهم يتعاونون معه ضد مصالح الشعب .

وديوان « اصرار » الصادر في القاهرة ١٩٥١ لكمال عبد الحليم وديوان « أعاصير في السلاسل » الصادر في حلب ١٩٥٤ لسليمان العيسى ، يعبران خير تعبير عن كل ذلك .

فقصائد كمال عبدالحليم التي كتبها في عهد الملك السابق فاروق ، بل وفي عهد رئيس الوزراء الطاغية صدقي باشا ١٩٤٦ انما كانت دعوة صريحة للثورة ، بل نبوءة لم تلبث ان حققتها الايام .

ففي قصيدة « هذه الثورة » ( ١ ) المكتوبة ١٩٤٦ نرى الشاعر يتنبأ بالثورة بل يتصورها قد حدثت بالفعل فيقول :

هبت الريح ولاريح اذا هبت زئير
وتراءت كتل الاجساد كالريح تطير
كتل يقتلها الصمت وتحييها القبور
حطمت بيد الثورة ماضيها الصغير
ومضت تنحت مستقبلها بين الصخور

وفي نهايتها يقول :

انه الشعب دعاه الليل ان يصبح شعله
قد احس الارض قضبانا وفي القضبان ذله
انه يغني ليحيا فوق ارض مستقله

. . . . . .

هذه الثورة لن تخمد ـ ان لم تظفر
لن ينام الشعب عن قيد ـ اذا لم يكسر
لعنة الشعب على الاصنام والمستعمر

وفي نهاية قصيدة اخرى بعنوان « هجرة » نراه يقول :

بل تعالوا نحطم « الصنم العاتي » ونبني هنا الحياة الجديده
يارفاق الشقاء هل من مريد لنزوح الى بلاد بعيده
حيث تحت السماء قوت وستر وحياة يقال عنها سعيده

ولقد حطم « الصنم العاتي » حين خلع الملك الفاسد بنجاح ثورة ٢٣ يوليه المباركة ، وبدأنا بحق في بناء الحياة الجديدة .

اما سليمان العيسى فلقد كان يهاجم ذلك العهد الديكتاتوري المستبد الذي رزحت تحت نيره سوريا عامي ١٩٥٣ ، ٥٤ ، ويقرن بينه وبين سيطرة الاستعمار وتطاول اسرائيل على الحدود العربية . ففي خاتمة قصيدة « على الحدود » يرى اننا يجب اولا ان نتخلص من الحكام الطغاة واعوان المستعمر لكي نستطيع ان نلقى اعداءنا الخارجيين وننتصر عليهم :

لو كان في كفي قياد القدر ( ١ )
غسلت جفني أمتي بالشرر
ألهبت بالثورة حتى الحجر
طهرت ارضي من ظلال العبيد
عندئذ ... ألقى عدوي العتيد

« وفي قصيدة « ادفن الشكوى » نراه يقول : ( ٢ )

نحن ؟ هم يدرون من نحن ، جراح الضعفاء
كلما كموا فما زلزلهم ألف نداء
وهم من هم ؟ حثالات عبيد وإماء
لفهم « مستعمر » نذل بثوب الكبرياء
لم يحن مابيننا يا أمتي يوم اللقاء

ثم يقول منذرا ومبشرا بفجر الثورة التي ستطيح بالاستبداد :

ليزجونا غذاء السجن مثنى وفرادى
وليبيعوا مثلما شاؤوا لمن شاؤوا البلادا
لا رعانا الله ان نلبس على الخطب حدادا

---

( ١ ) ديوان « اصرار »

( ١ ) ص ٩٠ من ديوان « أعاصير في السلاسل »

( ٢ ) ص ٣٦ من ديوان « أعاصير في السلاسل »

فجرنـــا أقـوى على الافـاق نـورا واحتشـــادا
نفحة الارهـــاب لـن توسعه الا اتقـــــادا

ولئن عبر هذان الشاعران عن دعوتهما للثورة بذلك الشعر القـــوي الواضح الصريح فان بعض الشعراء قد تلجئهم ظروف العسفوالاستبداد وتكميم الافواه والرقابة المتعنتة على وسائل النشر ، قد يلجئهم كـــل ذلك الى الرمز حتى يستطيعوا اذاعة اشعارهم الثورية ( ١ )

ولئن كان الرمز في حاجة منالقارىء الى قدر اكبر من التأمل لاستكناه دقائق المعنى المختفي خلفه ، الا ان استخدام الرمز نفسه يعطي العمـــل الفني ثراء وعمقا ، ويهبه بعدا ثالثا ان جاز هذا التعبير ، أي يجـــده ، ويجعل القصيدة وحدة تشكيلية ، كالتمثال المنحوت ، لامجرد اندفاعات عاطفية وصرخات حارة ، قد تكون مؤثرة بلا شك ، وقد تكون مترابطـــة ترابطا منطقيا مسلسلا ، ولكنها رغم ذلك تظل تفتقد تلك الوحدة الكلية التي نلمسها في التحفة المنحوتة المجسدة ، ذات البنية العضوية السليمة المترابطة . بل ان الرمز قد يكون من الثراء بحيث يحمل اكثر من مدلول يمكن تفسير العمل الفني به دون تعسف .

على ان الرمز وان كان في بعض الاحيان تقية سياسة ــ الا انـــه ــ بالاضافة الى ماذكرت ــ يعطي الشاعر الموهوب امكانية الخروج علىالطرق المألوفة ، والالفاظ المحفوظة والاساليب المعادة . لان الشاعر سينســـاق مع الرمز الذي اختاره فيعبر عما يلزمه به وما تتم به صورته ، فيتحـــرر من القوالب القديمة المحفوظة التي براها طول الاستعمال خصوصا وان الرمز على هذا النحو الكلي لم يكن معروفا عند القدماء مما يساعد علـى هذا التحرر . وخير مثال لذلك قصيدة « مدينة بلا مطر » لشاكـــر السياب . وقد نشرت القصيدة في العدد الصادر في اب « اغسطس » ١٩٥٨ ، ولكن القصيدة قد كتبت قبل ذلك بلا شك ، خصـــوصا وان الدكتور سهيل يقولفي تقديمه لذلكالعدد انهكان ينبغيلهانيصورفي«ايار» « مايو » ولكن قيام الثورة في لبنان حال دون ذلك . وقد كتب على ذلك العدد نفسه « حزيران ــ تموز ــ اب ــ » لانه جاء بعد الفترة التـــي انقطعت فيها « الاداب » عن الظهور .

وفي هذه القصيدة يتخذ الشاعر رموزه من الاساطير البابلية : تموز اله الخصب الذي صرعه خنزير بري ، ولكنه ينبعث كل عام فتنبعث معه الحياة بعد هجعة الشتاء ، وتعود بعودته حبيبته عشتار الهة الحـب والخصـب .

وفي الجزء الاول يصور الشاعر تلك الثورة المكتومة التي تضطرم فـي صدر المدينة وتوشك ان تشتعل :

« مدينتنا تؤرق ليلها نار بـــلا لهـــب
تحـــم دروبها والـــدور ثم تزول حماها
ويصبغها الغـــروب بكل ماحملته منسحب
فتوشـــك ان تطيـــر شرارة ويهب موتاها »

ولكن النار لاتشتعل ، وطبول الفرح لاتدق بعودة تموز فان عشتـــار الهة الخصب « فارغتان كفاها » و « قاسيتان عيناها » ، واهل المدينـــة جياع فالسحب مرعدة مبرقة دون امطار .

ان الشاعر ينتظر الثورة التي تحمل الحرية والتي يرمز لها بالمطـــر ، تحمل معها الخصب والحياة ، ولكن الانتفاضات الصغيرة التي يقـــوم بهـا الشعب احيانا ، ليست سوى رعود بلا امطار .

( ١ ) في بعض الاحوال لايكون الرمز مجرد تقية بل قد يكون اسلوبـا فنيا فضله الشاعـر .

ولكـن مـرت الاعـــوام كثـرا ما حسبناهـــا
بـــلا مطـر .. ولـــو قطـره
ولا زهـر .. ولـــو زهـــرة
بـــلا تمر كأن نخيلنا الجرداء انصاب اقمناهـا
لنذبل تحتهـــا ونموت »

ثم يذهب صغار بابل يبتهلون الى عشتار ان تسقيهم وتمنحهم المطر :

« ورف كأن الف فراشة نثرت على الافق
نشيدهـــم الصغير :
قبور اخوتنا تنادينـــا
وتبحث عنـك ايدينـــا
لان الخوف ملء قلوبنا ورياح اذار
تهز مهودنا فنخاف والاصـــوات تدعونا
. . . . . .
فيا من صدرها الافق الكبيـــر وثديهـا الغيمـــه
سمعت نشيجنا ورأيـت كيف نمـــوت فاسقينا
نموت وانت ــ واأسفاه ــ قاسية بـــلا رحمـــه
فيا أباءنـــا مـــن يفتدينـــا ؟ من سيحيينـــا ؟
ومن سيموت : يولـم لحمه ودماءنـــا فينـــا ؟

ان الشاعر هنا ــ في هذين السطرين الاخيرين يدعو للثورة ، يدعـــو لان يحمل عبئها بعض المضحين الذين يولون حياتهم قربانا لحرية لكـي يفتدوا الاجيال الناشئة ويحققوا الامل الذي استشهد في سبيلـــــه الشهـداء من قبـــل .

اما الجزء الاخير فلعله يرمز الى ان الثورة قد اندلعت في بلد اخـر خارج اسوار بابل ــ لعله مصر او لبنان وان هذه الاسوار التي ترمـــز الى الحكم الفاسد المستبد ، قد حالت دون المطر ودون ان ينزل في بابل نفسها ، ولكنه مع ذلك قد حمل الامل في ان بابل سوف « تغسل يومـا من خطاياها » ،الامل الذي يرمز له الشاعر بالقمر او بالنجمة او بقطـرة مـاء انفلتت من الغيمة :

« وسح وراء مارفعته بابل حـــول حمـاهـا
وحـــول ترابها الظمأن مـــن عمد واســوار
سحـاب كان لـــولا هـــذه الاسوار رواهـــا
وفي ابد من الاصغار بين الرعـــد والرعـــد
سمعنا ــ لا حفيف النخل تحت العارض السحاح
او ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح
ولكن خفقة الاقدام والايدي
وكركرة واه صغيرة قبضت بيمناهـــا
على قمر يرفرف كالفراشة او عنى نجمـــه
على هبة من الغيمـــة
على رعشات مـــاء ، قطرة همست بهـــا نسمه
لنعلم ان بابل سوف تغسل من خطاياها »

وانا بعد اعلم ان امثال هذه القصيدة الرمزية الرائعة لايشعر الانسان بكل روعتها الا اذا قراها كاملة ، وان الاستشهاد باسطر منها يتلفهـــا ، لانها بنية حية لايمكن نزع جزء منها دون ان يختل بناؤهـا .

وفي مؤقف قريب من هذا ، موقف انتظار الثورة التي لاتتحقق لتحمل الحرية الى الشعب ، الثورة التي تحاول ان تنهض ولكنها لاتعبر عـن نفسها الا في انتفاضات جزئية لاتبلث ان تخمد بحيث توشك ان تحمل

النفوس على اليأس ـ نجد قصيدة نازك الملائكة اللاهبة اللاذعة « الراقصة المذبوحة » ( ١ ) انها تهديها« تحية الى الجزائر في نضالها » ولكن القصيدة كما سبق ان اوضحت ( ٢ ) لايمكن ان تنطبق على ثورة الجزائر بحال من الاحوال ، بل هي تنطبق على حال العراق قبل ثورة تموز . فالقصيدة تعبر عن روح من تولاه اليأس من صلاح حال انسان او شعب عزيز على نفسه ، ولكن في ضميره بقية خفية من أمل ، ولذلك فهو يخزه ويجرحه ليثير فيه النخوة ويحفزه للمثابرة ، وهي بذلك تختلف عن قصيدة السياب التي تبتهل وتحنو ، بدلا من ان تخز وتجرح وفي النهاية تبشر بالامل وقرب الخلاص . وها هي ابيات من قصيدة نازك تعبر عن روحها :

انتفاضات ؟ وفي الشعب بقايا
من عروق لم تسل نبع دماء ؟
انفجارات ؟ وبعض الابرياء
بعضهم لم يسقطوا بعد ضحايا
لم يكن جرحك بدعا في الجروح
فارقصي في سكرة الحزن المميت
الارقاء الحيارى للسكوت
احتجاجات ؟ لماذا ؟ استريحي !
اضحكي للمدية الحمراء حبا
واسقطي فوق الثرى دون اختلاج

( ١ ) ديوان قرارة الموجة

( ٢ )في تعليقي على قصائد عدد المعركة في عدد شباط « فبراير »٩٥٧


صدر حديثا :

★ جائزة نادي القصة بالقاهرة لعام ١٩٥٨
★ جائزة جريدة "الكفاح" لعام ١٩٥٨
★ جائزة جريدة "السياسة" لعام ١٩٥٨

ثلاثة جوائز قصصية نالتها القصة الرائعة :

وحل في جبين الشمس

بقلم : سمير تنير

قصة الشاب العربي عندما يبحث عن نفسه

حساسية الطفولة ، وقلوع المراهقة ، وجموح الشباب

قصة قال عنها ميخائيل نعيمه انها " مكهربة بالشاعر البشري الحي "

الثمن : ١٢٥ ق.ل.

منشورات عويدات


منة ان تذبحي ذبح النعاج
منة ان تطعني روحا وقلبا

كما اننا نلاحظ ان شاكر السياب قد التزم رمزه من البداية الى النهاية فظل يتحدث عن تموز وعشتار والمطر والجفاف . وحتى الدعوة لثورة رمز لها بالدعوة لتقدمة الضحايا للالهة . بينما خرجت نازك على رمزها اذ لم تلتزم التزاما حرفيا صورة الراقصة المذبوحة بل انها اشارت اشارة صريحة الى الشعب وانتفاضاته ، وان كانت قد اضطرت ان تنسب القصيدة للجزائر لا للعراق .

علم ان الشعر الثوري المعاصر يتخذ طريقا اخر للتعبير غير التعبير الحماسي المباشر او الرمز الملتزم او غير الملتزم . انه يلجأ الى القصة . الى قص حادثة بذاتها قد يجعل الشاعر من نفسه احد ابطالها او مجرد راويتها فحسب . والشاعر يختار لها بعض التفاصيل الصغيرة الموحية يتدرج بها في بساطة حتى تصل الى ذروة المأساة فتهزنا قوتها الدراماتيكية . وعندئذ ، وعندئذ فقط تستطيع ان تدعونا الى النضال بعد ان تهيأت نفوسنا له تهيؤا كاملا بقراءة القصة .

ان الشعر الثوري ذا التعبير المباشر يناسب فترة احتدام المعارك الفعلية ذاتها . انه كالمارشات العسكرية ، يلهب النفوس ويدفع الى الحماسة والحمية . ولكن الشعر الثوري القصصي هو المهد لتلك المعارك ، هو الذي يؤصل الصور الثورية في النفوس ، بحيث تستطيع ان تتقبل العمل الفعلي الايجابي حين يحين اوانه . انها التبرير النفسي للثورة والصورة التي تظل عالقة بالوجدان حتى ولو خفتت وقدة الحماس بحيث يستطيع ان يوقدها القادة السياسيون او شعراء المعارك من جديد باقل جهد ، ثم يجدون استجابة حارة واعية من نفوس الشعب .

ولهذا الشعر اصوله في ادبنا الشعبي : في المواويل والقصص الشعرية التي تنشد في الموالد على نغمات الرباب . وهذه الطريقة القصصية اذ تلجأ الى حكاية التفاصيل الصغيرة الموحية ، تستخدم لغة بسيطة تلائم السرد القصصي ولكنها مؤثرة بما تجسم لخيالنا من تفاصيل الحياة الانسانية البسيطة ، الاليفة الى قلوبنا ، لانها من نسج حياتنا التي نحياها في كل ساعة وفي كل يوم . فالانسان اقدر بطبيعته على الانفعال والتأثر بالاشياء التي تقدم له في قالب محسوس حتى اكثر من قدرته على تمثل الافكار والمثل المجردة ، التي لا يتسنى تمثلها الكامل الا لعدد محدود من الناس . وهذه الطريقة القائمة على تصوير التفاصيل الدقيقة الموحية تجدد ايضا في لغة الشعر ، وتبعد به عن القوالب والصيغ المتوارثة ، لان الشاعر القصصي ينظر الى ما حوله ليصوغ قصته، ولا يلجأ الى الذاكرة التي تحمله على التقليد ، وخير شاهد على ذلك ديوان « مع الغرباء » لهارون هاشم رشيد الذي يتخذ موضوعه الرئيسي من مأساة فلسطين واللاجئين . وفي الديوان قصائد كثيرة زاخرة بالاحساس الحار والتعبير الثوري بالطريقة التقريرية المباشرة ، ولكننا رغم ذلك نحس ان درتي الديوان هما القصيدتان اللتان اختار لهما الاسلوب القصصي ، وهما قصيدتا « قصة » و « مع الغرباء »

اما القصيدة الاولى (١) فلها كل مقومات القصة ، فلها بدء وقمة وختام وبها بعض الفقرات الحوارية . وهي في الحقيقة قمة من قمم الشعر المعاصر . ويبدأها الشاعر بالحديث عن موت جاويش من جنود

ـ البقية على الصفحة ١١٣ ـ

(١) ص ٥٠ ديوان « مع الغرباء »

# الشعر الثوري في الادب المعاصر

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٧ ـ

الاستعمار . ثم هجوم الجنود ومعهم العمدة لتفتيش بيت الشاعر (١) وكان اذ ذاك طفلا . وفي خلال ذلك يصور خوفه وخوف امه ، وترقبهما وقلقهما ، الى ان ياتي الجنود ومعهم العمدة ويسألوها عن زوجها فتنكر معرفتها لمكانه ، فاذا بهم يطلقون عليها الرصاص ثم يشنون بحرق القرية كلها .

ان الشاعر يتدرج بنا من وصف الخوف والقلق في واقعية انسانية مرهفة :

واذا ما اصطدمت رجلي.. بصندوق الثياب
قفزت امي من النوم ... وهبت في ارتياب
من يدق الباب ؟ قد صاحت ولم تسمع جواب
وهوت قربي في حزن وبؤس واضطراب

ثم يتدرج بنا من هذا الوصف الى حوار حي مؤثر بين الام والعمدة الذي يعطف عليهم لانه منهم وان كان مضطرا الى ان يحضر مع الجند ليسأل عن الزوج الهارب . واخيرا يبلغ بنا القمة حين يصور مقتل الام ورعب الطفل المسكين في كلمات بسيطة ولكنها مشحونة بالعاطفة التي تهز القلب :

ومشى الجند ... مشوا من فوق امي
وانا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل ان تدفن فوق الدرب جسمي
غير ان العمدة المسكين يحميني ويهتز ليتمي

ثم يلمس قلوبنا ويعمق فيها الجراح عندما يجري هذا الحوار الساذج المؤثر بتساؤله المتتابع بين الطفل والعمدة بعد ان امر الجند بحرق القرية :

عم يا عمدة ـ ماذا كان ـ عمي ذنبنا ؟
ولماذا قرروا ان يحرقوا ابياتنا
أترى تعرف ياعم ، اتدري جرمنا ؟
ام ترى تجهل ما بيته الظلم لنا ؟

ثم يردف ذلك برؤية اهل القرية لقريتهم تحترق ، ولرؤيته هو لبيته يشتعل ، ثم معرفته ان اباه قد مات شهيدا في كفاحه ضد المستعمرين .

عندئذ يستطيع الشاعر وقد حفر اللوحة المؤثرة في قلوبنا ان ينقلنا من الصور الانسانية الجزئية الحية الى الهدف الثوري المجرد ، فيثير في قلوبنا السخط والثورة على المعتدين :

من هنا قد بدات ماساة عمري
بدات قصة آلامي واحقادي وثاري
من هنا قدشبت النيران في أعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري
. . . . . .
لن ينام الثار في صدري وان طال مداه
لا .. ولن يهدا في روحي وفي قلبي لظاه
صوت امي لم يزل في مسمع الدنيا صداه
وابي ما زال في سمعي وفي روحي نداه
ان تقدم ثابت الخطو الى الحق تقدم
وتقحم حالك الاهوال للثار تقحم
سوف تطويك الليالي السود ان لم تتعلم
كيف تطفي غلة الثار بنيران ودم

اما رائعته الاخرى فهي قصيدة « مع الغرباء » ، وهي ليست قصة بالمعنى الكامل ، بل هي حوار بين فتاة لاجئة وابيها ، بل هي مجرد اسئلة متتالية بسيطة مؤثرة ، تلقيها الفتاة على ابيها ، وتنتهي دائما بذلك السؤال المؤلم المحير :

لماذا نحن يا ابتي ؟
لماذا نحن اغراب

تسأل عن امها التي ماتت بسبب النكبة وعن اخيها الذي استشهد وعن صاحبتها التي اسقمتها الايام ، تساله لماذا هم تائهون بلا بيت ولا سكن ، وتساله :

| | |
|---|---|
| أبـــي | أادخـــل غرفتي قـــل لي |
| قل لي بحق اللـــــه | أادخلـــها باحـــــلامي |
| وهل نـــاتي الـــى يافـــا | وتسمـــع وقـــع اقدامـــي |
| فان خيـــالهـــا المحبوب | والقـــاهـــا وتلقـــاني |
| في عيني قـــد طـــافا | أادخلها بهـــذا القلب |
| أندخلـــــها اعـــــزاء | هذا المدنف الظـامي الخ. |

برغـم الدهر اشرافـا

وبعد ان تشعل نفس ابيها ونفوسنا بهذا التساؤل المر عن كل الاشياء الصغيرة الحبيبة ، وتحملها الى قمة الانفعال اذ بالاب يجيب عنا وعن نفسه :

فيصرخ ســـوف نرجعـــه
سنرجـع ذلـك الوطنـــا
فلـــن نرضـــى لـــه بـــدلا
ولن نـرضى لـه ثمنا الخ ..

على ان ما يمس نفوسنا في هذا الديوان غير هاتين القصيدتين ويقرب منهما في الروعة هي القصائد التي خرجت عن الاسلوب التقريري المطروق واتخذت سبيلا اقرب الى القصص على هيئة حديث او مناجاة مثل « احزان لاجئة » (١) «ومن الحياة » (٢) ، ذلك ان الاسلوب التقريري كثيرا ما يدفع الى التقليد لان تراثنا كله من هذا اللون ، والقاريء لالفته له لا يرى المعنى الحسي الكائن في الالفاظ ، ذلك الذي يعطيها قدرتها على التلوين وعلى صدم الاحساس بالصور الغضة ، بل لا يحس منها غير المعنى العقلي المجرد الذي آلت اليه بطول الاستعمال ، ولذلك يضعف اثره في النفس . اما الاسلوب القصصي فهو يعطينا صورا جزئية بسيطة لا تزويق فيها ، ولكن تتابعها نفسه لا يلبث ان يكون صورة كلية تهز اعماقنا هزا .

وكما تفعل القصة النثرية احيانا ، كذلك يفعل الشاعر بان يبدا قصته من نهايتها او من قمتها ليصدمنا بها ، ثم يعود الى سرد القصة ليخلص في النهاية الى الهدف الثوري في سطر او سطرين . وذلك مثل قصة

(١) طبعا من الجائز ان هذه القصة ليست قصة الشاعر الشخصية ولكنه تقمص شخصية البطل مما يجعلها افعل في النفس

(١) ص ٣٣ من ديوان « مع الغرباء »

(٢) ص ١٢٠ من ديوان « مع الغرباء »

« شنق زهران » لصلاح عبد الصبور ، وهي قمة اخرى من قمم الشعر المعاصر . اذ يبداها بقوله :

وثري في جبهة الارض الضياء
ومشى الحزن الى الاكواخ تنين له الف ذراع
كل دهليـــز ذراع
من اذان الظهر حتى الليل .. يا لله
فـــي نصـــف نهـــار
كل هذي المحـن الصـماء فـي نصف نهـار
مذ تـــدلى رأس زهـــران الوديـــع »

ثم يعود الشاعر ليصف زهران وفرحته بالحياة وحبه وزواجه فـي اسلوب بسيط مليء بالعصير الشعبي تخالطه رموز مرهفة ، ثم ينتهي اخيرا الى الهدف :

قريتي من يومها لم تأتدم الا الدمـــوع
قريتي من يومها تأوي الـى الركـن الصديـــع
قريتـي من يومهـا تخشـى الحيـاة
كـان زهـران صديقـا للحيـاة
مـات زهـران وعينـاه حيـاة
فلماذا قريتـي تخشـى الحيـاة ؟

ولكن الشعر الثوري اليوم لم يعد قاصـرا على الاقليمية الضيـقة فما يحدث في جانب من جوانب الوطن العربي يهز جوانبه جميعا ، فـلا نكاد نجد اليوم ديوانا عربيا خاليا من معارك الكفاح ضد الاستعمار فـي كل جانب من جوانب الوطن العربي ، مبشرا بالنصر الشامل . فقضيـة فلسـطين والجزائر ، ومعـارك العراق والقنـاة ، كـل ذلـك كـان موضوعا لشعر شعراء من كافة البلاد العربية .

على ان الشعر القومي العربي اذا كان قد سكن بعد حين من الثـورة العربية الكبرى في اعقاب الحرب العالمية الاولى بعـد ان تمزقت البلاد العربية بين المستعمرين وحكمها حكام ممالئون للاستعمار ، الا ان نكبـة فلسطين قد حركت النفوس التي كانت قد خمد اوارها ووجهت الاذهـان والقلوب نحو الفكرة العربية الشاملة . لقد شغل ابناء كل اقليم بمكافحة المستعمرين في اقليمهم بل بمحاربة الحكام الخونة الممثلين لهم ، والذيـن يتستر خلفهم المستعمرون ، ولكن لا يكاد الشعب في احد الاقاليم يخلص من احد معاركه حتى يتلفت حوله ليرى ما حل بالاجزاء الاخرى من الوطن العربي يساندها ويؤيدها ويشد من أزرها لتجتاز محنها .

وها هو سليمان العيسى في ديوانه الاول « مع الفجر » يقول فـي قصيدة « نفحة من أمية » (١) المكتوبة سنة ٤٧ يخاطب سوريا ، وقد تم جلاء المستعمرين عنها منذ يومين ، ويحملها مسئولية الكفاح حتى يتـم تحرر بقية اجزاء الوطن العربي :

هذه امتـي تحـرق للفجـر وتغلي في صدرهـا انـــواء
أتنامين يا دمشق عن الثـار ايرضى لك الهوى والوفـــاء
أسكـوت ودجـلة تتلظـى ويد البغـي فوقهـا حمـراء
امس لبت على استغاثاتك المـــوت لدن اظلمت وعز الفـــداء
أفرار ومصر لم تدفن القتلـى ولما تجـف فيـها الدمـــاء
أتلذين سلـوة ؟ وفلسطـين علـى كـل مخلـب اشـــلاء

لا اقول « اللواء » (٢) ما كان يوما غير جرح من الجروح اللـــواء

هذا هو احساس الشاعر في ديوانه الاول ، الذي جاء اكثر شعره عاطفيا وجدانيا خالصا بحكم فترة الشباب الاولى . ولكن الابيـات التي وردت تعبر عن الروح القومية الشاملة ستسيطر على شعـره فيما بعد ، وعلى شعر اكثر الشعراء المعاصرين . وديوان « عائدون » ليوسف الخطيب خير معبر عن تلك الروح ، خصوصا في قصائـد « نفير البعث » المهداة الى الرئيس جمال عبد الناصر اثر تأميم القناة ، وقصيدة « فجر البعث والانسان » ، ففيهما يقرن بين معارك الوطن العربي بكـل اقاليمه المختلفة في نغم ثائر عاصف مليء بالكفاح . وقصيدته « المفاوير » من اروع نماذج الشعر الخطابي الثائر ، وفيها يتحدث عن الرجال الذين حملوا بيمينهم رسالة الكفاح ويصف اقدامهم بأنه :

كاندلاع اللهـب من جذوة الشمس ففـي كل حدقتـين شـهاب
والجباه الصلاب في ملعـب الريح كما تشمـخ الجبـال الصـلاب
يتقطبـن بالمشيئـة والعـــزم سـطورا لم يشتملها كتـاب
والصدور الشداد يلطمها المـوج فيرتـد وهـو منهـا حبـاب

. . . . . .

لمن الشعب تلك راياتـه الحمـر على الافـق والحديـد المـذاب
لمن الشعب هائجـا يتلظى لمـن الحرب والطبـول الغضـاب
ايها الغانمون اسـلاب قومـي ان مـن اجلكـم تسـن الحـراب
ان هذا عتابنـا ، منجـل الثأر فهيهـات لـن يـرق العتـاب

واظنني لست بحاجة الى الحديث عن روعة الصور ولا عن الالفـاظ المشحونة بروح الثورة والكفاح. وان كانت للشاعر قصائد اخرى في بعض اجزائها نغمات اليفة بسيطة هامسة مثـــل « اغان من فلسطين » و « العندليب المهاجر » .

على اننا نلاحظ في ديوان « أعاصير في السلاسل » لسليمان العيسى، وهو الديوان الثاني للشاعر ، ان المشكلة الداخلية تسيطر على اكثر قصائده وهذا امر طبيعي ، لان التخلص من الحكام الخونة المستبدين هو الطريـق الى الاستقلال الحق ، والى الخروج من المجال المحلي الضيق الـى المجال العربي العام ثم الانساني . ولذلك نرى العيسى في ديوانيه التاليين «رمال عطشى » ثم « قصائد عربية » صيحة عربية خالصة تمتزج فيـها احداث الامة العربية قاطبة .

وأظنني لست بحاجة الى ان اشير الى كل القصائد التي قيلت عـلى الصعيد العربي العام ، فالكثير منها قد نشر في الاداب ، وكيف انها خلقته ملاحم واساطير حول جميلة (١) رمـز الثورة الجزائرية وحول معركـة القناة (٢) التي كانت بلا شك معركة العرب والعروبة وحول غيرها مـن معارك الوطن العربي الكبير . وان كنت احب ان اشير الى صورة جديـدة من صور القصيدة العربية وهي صورة الرسائل وذلك في قصيدة نـزار قباني « رسائل جندي مصري في جبهة السويس . »

على ان الشعر الثوري لم يزل يتسع مجاله في ضمير الشعراء العرب حتى اصبح يشمل مجالا اوسع من المجال العربي الخالص . فديـوان « اغاني افريقيا » للفيتوري ليس الا دعوة للبعث الافريقي ، ونخره في جنب شعوب افريقيا لتصحو وتثور ، وتأخذ مكانها في التاريخ :

افريقيـا افريقيـا استيقظـي استيقظي من حلمك الاسـود
قد طالما نمـت ألـم تسأمـي ألـم تملـي قـدم السـيد

. . . . . .

فويك ان لم تخضني صرختـي زاحفـة مـن ظلمة الهاويـة
عاصفة بالابيض المعتـدي عليك يا افريقيـا الغـالية

(١) ض ٧٥ ديوان « مع الفجر »
(٢) لواء الاسكندرون السليب وطن الشاعر

(١) عدد نيسان سنة ٥٨
(٢) عدد ديسمبر سنة ٥٦ ويناير وفبراير سنة ٥٧ ـ وغيرها

ان امثال هذه القصيدة (١) ، وقصيدة « ثورة قارة » المكتوبة سنة ٥٣ ليست الا نبوءة بالمد الثوري الذي سيجتاح البلاد الافريقية . ففي ذلك الوقت لم يكن قد تحرك في قلب افريقية سوى كينيا بقيام ثورة الماوماو . ولكن الشاعر باستلهامه للقوى الكامنة في نفوس الشعوب، وباستشرافه للمستقبل ، اصبح يرى الحقيقة قبل ان تتحقق . ولعل ثورة يوليه سنة ٥٢ المصرية قد اعادت الثقة في نفوس الشعوب المستضعفة وحددت الطريق الى المستقبل ، طريق الكفاح لاستخلاص الحقوق ، فاحست هي ودول اسيا الحديثة العهد بالاستقلال بما بينها من روابط ومشاركة مما ادى الى عقد مؤتمر باندونج ثم تكوين المؤتمر الاسيوي الافريقي ، ثم استقلال بعض بلاد افريقيا مثل غانا وغينيا ثم عقد مؤتمر اكرا وغيره من المؤتمرات ، ولعل قصيدة « أغاني افريقيا » التي كتبت سنة ١٩٥٢ تعبر عن تلك الشعلة التي بعثتها الثورة المصرية . وهذه القصيدة مطلعها :

يا اخي في الشرق في كل سكن  يا اخي في الارض في كل وطن
أنا ادعوك فهل تعرفني  يا أخا اعرفه رغم المحن

ثم يقول مشيرا الى الثورة المصرية :

الملايين افاقت من كراها  ما تراها ملأ الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها  بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت أفؤسها وانحدرت  من روابيها واغوار قراها
فانظر الاصرار في أعينها  وصباح البعث يجتاح الجباها
يا اخي في كل ارض عريت  من ضياها وتفطت بدجاها
قم تحرر من توابيت الاسى  لست اعجوبتها او مومياها
انطلق فوق ضحاها ومساها  يا اخي قد اصبح الشعب الها

ومن هذا الوتر نفسه تنطلق بعض قصائد ديوان « الطين والاظافر » لمحي الدين فارس مثل قصيدة « افريقيا لنا » و « اغنية على لسان راع افريقي» بل انه ليطلق صيحة الفرح بالتقاء اسيا وافريقيا في قصيدة « باندونج »(٢) :

وانتفضت افريقيا يوما  وانتفضت آسيا المقهورة
لتحطم تابوت سنين  كانت اغنية مكرورة
آسيا الصفراء لقد غسلت  عار الايام المهدورة
وكذلك افريقيا السوداء  ستمحو تلك الاسطورة
واذا باندونج بأذرعها  باقات صباح منضورة
فقلوب تهفو لقلوب  ستغني ملء العمورة

لقد كان الاستعمار يحجزنا عن العالم ويمنع صلاتنا به ان تتوثق فلم نكد نحس مشاكل الانسانية الواسعة ، وندرك الى اي مدى هي مرتبطة بمشكلاتنا . ولكن الثورات التحررية التي نبتت في قلب العالم العربي قد اعادتنا الى التيار العام ، تيار الحياة . فأصبحنا نأسى وننفعل ونتأثر بمايقع في جوانب العالم المختلفة لاننا اصبحنا نعلم ان مايصيب الانسان في اي مكان انما يصيبنا نحن ايضا . فنحن نحتج على اجراء التجارب الذرية في اليابان ، كما نحتج على اجرائها في الصحراء الكبرى قريبا من بلادنا . ونأسى لمأساة اضطهاد في امريكا كما نأسى لمأساة اضطهاد في العراق او في الجزائر . فحين ينمحى الظلم والعدوان في كل مكان تتعانق الانسانية ويسود السلام .

(١) قصيدة « البعث الافريقي » من ديوان « اغاني افريقيا »

(٢) لجيلي عبد الرحمن قصيدة رائعة في تحية المؤتمر الاسيوي الافريقي نشرت في جريدة المساء سنة ٥٨

ومن روائع الشعر الثوري الانساني وقممه العالية قصيدة « لوسى (١) لمحي الدين فارس ، تلك الفتاة الامريكية السوداء التي ابى عليها البيض ان تدخل الجامعة ولاحقوها بصنوف الاضطهاد . وفي مطلعها يقول :

سمعت الرواية
سمعت تفاصيلها للنهاية
وجئت حزينا ارش على كل درب اسايا
لا لانك مثلي سوداء مثلي
ولونك لوني وجرحك جرحي
وحزنك حزني تنم عليه مقاطع لحني
ولكن لانك انسانة
معذبة في الدجى شارده
تدقين باب الحياة الكبير
فتوصد ابوابها الجاحدة

وفي جزئها الاخير يقول :

انما أبحث عن أرض الحقيقه
والمساواة التي تنعم في احضانها كل الخليقه
والعصافير الطليقه
حيث ينمو الزهر من غير أوانى
حيث لا تنبت في الاعماق اشواك الهوان

ومن هذا النبع الانساني ايضا تنبعث الكثير من قصائد محيي الدين فارس مثل « ذكريات الحرب » و « السلام الاخضر » و « أغنية جديدة »

وقصيدة « شهيد من اليابان(٢) لحسن فتح البابّ من درر هذا الاتجاه الانساني. فهي قصة صياد ياباني ذهب ضحية التجربة الذرية الامريكية في جزر بكيني بالمحيط الهادي بعد ان قاسى امر العذاب ..

ويلاه ذاب شعره ولم يمت
وغاض ماء وجهه ولم يمت
وحين مات لم يكن به رمق
يصد عنه غائل الحريق
واساقطت قبل الوداع منه كلمتان :
« لا موت بعد اليوم بالغبار »
فكان اخر الضحايا في تجارب الدمار

لقد صور الشاعر في قصيدته جمال الحياة ثم فظاعة الدمار الذي تسببه التفجيرات الذرية ، وتحدث عن أسرة الصياد ، وكيف تنتظره دون جدوى زوجته واولاده ، في كلام أليف مؤثر ، ثم العذاب الذي لاقاه بعد ان لحقه الغبار الذري بالمرض والتشويه ، ثم ينتقل بنا في الفقرة الاخيرة الى الدعوة الثورية الانسانية :

ياأصدقاء الشمس يا طلائع النهار
يا ايها العمال في شواطىء البحار
لترتطم تجارب الدمار
بصخرة الاصرار
لن يسقط الاباء في مجارق الرماد
لن يرجع الابناء تائهي الوجوه
لن يطفىء الجلاد نضرة العيون
لتنحطم على جداركم يداه

( ١ ) الاداب عدد ايار ١٩٥٨

(٢) الاداب عدد أيار ١٩٥٨

من قبل ان يحطم الحيـــاة

كذلك قصيدة « البنت التي ولدت ميتة » (١) لمجاهد عبد المنعم مجاهد دعوة انسانية ضد التجارب الذرية .

ومن هذا الاتجاه الانساني قصيدة « الى مشوه الحضارات » (٢) اي هتلر ، يهاجم فيها الشاعر صالح جودت الفلسفة العنصرية التي قامت عليها النازية وفيها يقول :

يا راسم الارض حلالا لـه ... يشقيك ما انت لهـا راسم
اغرقتهـا في دم ابنائهـا ... وانت في لجتها عائم
وقلت اجناس وقسمتهـا ... فضلت القسمة والقاسم
ما انكرت حواء اولادهـا ... يومـا ولا انكرهم آدم
الابيض الناصع من بطنهـا ... وصلبه الاسود الفاحم

على ان الشعر العربي الثوري المعاصر اذا كان قد عبر عن الثورات الوطنية والقومية والانسانية ، فانه لم يغفل التعبير عن الثورة الاجتماعية وهذه الثورة قد تكون ضد الفقر والظلم الاجتماعي الذي يتمثل في الاقطاعيين والمستغلين ، كما قد تكون ضد تقاليد واوضاع اجتماعية او اوضاع اخلاقية فيما يكون بين الناس من معاملات . أو تكون ثورة ضد تقييد حرية الفكر واضطهاد الكتاب الاحرار ، بل احيانا قد تكون ثورة ضد بعض الاتجاهات الفنية في الشعر نفسه .

ولقد كانت الثورة ضد الاقطاع والظلم الاجتماعي مقترنة دائما بالثورة ضد الاستعمار والحكم الداخلي الفاسد ، لان الاستعمار والحكم الفاسد لاهم لهما الا استبزاز خيرات الشعب لمصلحتهما الخاصة ، دون أية محاولة لرفع مستوى الشعب نفسه الذي يقدم لهم الخيرات بكفاحه وجهاده بينما يتمرغ هو في الفقر والشقاء . وهنا نعود مرة اخرى الى شعر سليمان العيسى وكمال عبد الحليم . ففي قصيدة « الارض التي وزعها المذياع (٣) للعيسى نراه يصور ظلم الحكام الفاسدين واستبدادهم بصغار الزراع واغتصابهم لارضهم ونفاقهم حين يذيعون في المذياع برهم بالفلاحين واصلاحهم لاحوالهم . كذلك قصيدة « شارع ابي رمانة » (٤) ثورة ضد الاستغلال الذي يتيح لبعض الناس اسرافا في المتعة والثراء بينما يتمرغ المستغلون في جحيم الفقر :

الشرفـــة البيضـــاء ... من يدري أكانت غير حقـل
مزقت فـي أشـــواكه ... صدري ومـزق صدر أهلي
وعصرت فـوق ترابـــه ... روحـــي على رهـــق وذل
. . . . . ... . . . . .
هيهـات يهـدأ دونهـا ... المـي وعاصـفتي وغـــلى

وفي قصيدة « يقولون (٥) نرى الشاعر يخاطب من يلومونه لانه يساهم في رفع لواء الثورة الاجتماعية :

يقـولون هجتم علينـا القطيع ... وهـا فمه لم يعـد يلحـم
تمرد حتـى الاجير الحقيـر ... واصبح من لطمـة يألـم
اكان الورى غير مستضعـف ... يطيـع ومستضعـف يحكـم
بـلى قـد ألفنا القطيع الذليل ... سـواعد مفتولة تزحـم

وفي ديوان « اصرار » لكمال عبد الحليم نجد اكثر من قصيدة في هذا المعنى مثل قصيدة « اصرار » ومثل قصيدته عن الفلاح في مصر وعنوانها « في قبضة الفأس » وقصيدة « قصور وقبور » و « معسكرات » التي يوضح فيها تعاون الاستعمار والملك والاقطاعيين على استغلال الشعب. اما قمته الرائعة « لن يعيش » التي كتبها ١٩٤٨ ففيها يتنبأ بخلع الملك السابق ويصور بؤس الشعب . يبدأها بالحديث عن الملك وعن خوفه من الشعب بقوله :

وصوف على جسمه فوق صوف ولكن هيكله يرتعش
وخمر لتنسيه وقع الصروف وتنسيه سلطانه المنكمش
ونـار الرصاص وطعن السيوف وما طاش منها وما لم يطش
وصوف وخمر ونار تطيش وتردي وهيكله يرتعش
ترى هل يعيش ؟ وكيف يعيش ؟ وعيد الجماهير ان لم يعش

ثم يصف بؤس الشعب بأبيات منها :

تعيش الجماهير بين الحفر وفوق التراب وفـوق القـذر
تمـوت الملايين بل تنتحر ضحايـا الظلام صغار العمـر
تمـوت من العرق المنهمر ومـن قسوة العيش بين الحفر

ثم يعود مرة اخرى الى الحديث عن الملك وينتبأ بالثورة بقوله :

لقـد كـان يأكل في نـومـه ... وتبنى الحياة أكـف الجيـــاع
وكم كـــان يلهـو بنيرانـه ... ويضحك حـين يمـــوت الرعاع
أفـاق علـى النـار في كأسـه ... وقـد غـاب منها بريـق الشعـاع
على رعشـة المـوت في جلده ... كمـن ادركتـه نيـاب السبـــاع
لقـد ثـار مـن كـان في ارضه ... يبيع سعـادتـه كـالمتـــــاع
يبيع لـه النـور مـن عمـره ... يبيع لـه روحـه والـــــذراع

وقد دفع هذا الموقف الاجتماعي ضد الفقر والاستغلال هذين الشاعرين الى موقف فني ينكران فيه الشعر الذاتي الذي يتحدث عن الحب وعن جمال الطبيعة وغير ذلك من الموضوعات الوجدانية . ففي قصيدة « يقولون » التي أشرنا اليها نجد سليمان العيسى يقول :

بلى انـا للحلـم لا للنضـال ... اذا لم تكـن من دمي تفعـم
وللحب ان كـان فـي حينـا ... فـم بابتسامته ينعـم
بل انا للحلم لا للنضـال ... اذا لـم يكـن فـي عروقي دم
وزخرف دربي سـوى معدم ... يشـاطـره داءه معـدم
اذا كان حولي سوى مجهديـن ... على بيـع انفاسهم أرغمـوا

ونفس هذا الموقف يقفه كمال عبد الحليم في قصيدته « الى الشاعر التائه». وان كان للشاعرين كليهما شعر ذاتي عاطفي بالغ الروعةوالحرارة.

امـا الثورة ضد محاولات الاستبداد لقتل الفكر الحر ، فليس أروع من قصيدة « برونو أبدا » المنشورة في عدد نيسان ١٩٥٨ من الاداب ، للاستاذ هنري صعب الخوري . انها صرخة ضد كل من يقف ضد الحرية الفكر وانذار له بان الفكر نفسه سيقتله . وبرونو فيلسوف ايطالي احرق في روما شهيدا في أواخر القرن السادس . وعنوان القصيدة«برونو أبدا» اي سيكون هناك دائما ابدا مجاهدون في سبيل الحق مستعدون للتضحية في سبيله مثل برونو . وهذه القصيدة قد قيلت قبيل الثورة اللبنانية ١٩٥٨ صرخة احتجاج على اغتيال الفكر والمفكرين واحرارالكتاب، بعد محاولة رشوتهم ارضاء للمستعمرين ذوي الدولار . وهي قصيدة حـارة لافحة رائعة ساضطر الى الاكتفاء بايراد مطلعها :

ستموت مطعونا بريشته
ستموت ياخفاش ياجبانـا
للحرف يا جـلاد كلمته

---

(١) ص ٩٥ ديوان « اغنيات مصرية »

(٢) ص ٩٦ من ديوان « ليالي الهرم »

(٣) من هذا النوع ايضا قصيدة « القرصان الكبير » لمحيي الدين فارس في ديوانه « الطين والاظافر » ، واخرى لتاج السر الحسن في ديوان « قصائد من السودان »

(٤) «العاصر في السلاسل» ص ١٦٨

(٥) ص ٤٣ ديوان « رمال عطشى » .

ياحانـوى الاثـــم
يا جرســا للظلـــم
يا بنـــاء قبتـــه
ستمـوت مطعونـا بريشتـــه

وقد تكون ثورة الشعر ثورة عامة ضد الالم والشقاء كمـا في قصيدة صلاح عبد الصبور « عيد الميلاد » ( ١ ) التي يختمها بقوله :

يا لاهثا فوق الصليب يكاد يسالك الصليب
لم مـت مـن دون الصليـب ؟!

او ثورة ضد الاستكانة ودعوة للايمان بقدرة الانسان مثل قصيـدة « الملك لك » (٢) او ضد التراخي والكسل والالتجاء الـى الغيبيـات والاحلام مثل « خبز وحشيش وقمر » لنزار قباني . ( ٣ ) او ثـورة اخلاقية ضد التزلف والنفاق وموت الضمير مثل قصيدة « دفاع عـن الكلمة » ( ٤ ) لاحمد حجازي التي قدم لها بقوله « الى الذين ماتـت كلماتهم لان ضمائرهم ماتت » وفيها يقول :

وأنـا الاصغر لم أعـرف مصاحبة الامراء
لـم أتعلم خلـق النـدمـاء
لـم أبـع الكلمة بالذهب اللالاء
ماجردت السيوف على أصحابي فرسان الكلمة
لـم أخلع لقب الفارس يومـا
فـوق أمير أبكـم »

وقد تكون ثورة اجتماعية من لون اخر ، ثورة ضد التفسخ فـي العلاقـات الانسانية وضد العزلة الروحية وعدم التضامن والتأخي التي يشعر بها الناس في مدينة من الزجاج والحجر ( ٥ )

الصيف فيها خالد مابعده فصول
بحثت فيها عن حديقة فلم اجد لها أثر
وأهلها تحت اللهيب والغبار صامتون
لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك !!

وهذا الاحساس يعبر عند الشاعر احمد حجازي في اكثر من قصيدة من ديوان « مدينة بلا قلب » مثل « انا والمدينة » و « مقتل صبي » ،ولكنه يصل الى قمة ثورته في قصيدة « الطريق الى السيدة » التي يختمهـا بقولـه :

ياقاهـرة
اياقبابا متخمات قاعدة
يا مئذنـات ملحـدة
يا كافـرة
انـا هنا لاشيء كالموتى كرؤيا عابـرة !

وان كان في قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » يعود بعد سخطـه على اهلها الى تعرف حقيقتهم ، فرآهم مثله طيبين معذبين محتاجين للعون فاتخذ منهم أصدقاء :

وفي المساء قارب الظلام خطونـا
رأيتهم واروا وراء الليل موتاهـم
وانهمرت دموعهم واخضل مبكاهم
وامتدت الايدي وأجهش الطريق بالبكاء
قلت لهم .. يا أصدقـاء !

وهناك ثورة اجتماعية اخرى ، ثورة المرأة العربية ضد التقاليد والقيود التي يكبلها في المجتمع ، يريد ان يسجن ملكاتها ويقبر مواهبها ، او ثورة ضد ظلم المجتمع الذي يكيل لها بكيل غير الذي يكيل به للرجل .

فمما يمثل الحالة الاولى تلك القصيدة الحارة الثائرة لفدوى طوقـان « وراء الجدران » ( ١ ) تبداهـا بقولها :

بنتـه يـد الظلم سجنا رهيبـا لواد البـريئـات امشـاليه
وكرت دهور عليه ومـا زال يمثـل كاللعنـة البـاقيه
وقفت بجـدرانه العابسـات وقـد عفرت بتراب القـرون
وصحت بها يا بنـات الظلام ويا بدعـة الظلم والظالمين
لعنـت : احجبي نور حريتـي وسدى علي رحاب الفضـاء
ولكـن قلبي هذا المغـرد لـن تطفئي فيـه روح الغنـاء
لعنت سـواي امامـك تعنـو وتخرسهـا غضبـات الطغـاة
ولكـن مثلي ستبقـى برغمـك بنـت الطبيعة بنـت الحيـاة
اغني ولو سحقتني القيـود أغاريد نفسي واشـواقها
تبارك لحنـي امي الحيـاة فلحني مـن عمق اعماقهـا

اما الحالة الثانية فتمثلها قصيدة نازك الرائعة « غسلا للعار » (٢) تلك التي تمثل قتل الرجل للمرأة غسلا للعار بينما الرجل القاتل غـارق في أثامه وفجوره لايحاسبه أحد . وفي المقطوعة الاولى من القصيدة تصور الشاعرة لحظة القتل ذاتها بكل بشاعتها ، وفي المقطوعة الثانية تصور ذهاب القاتل الى الماخور يلهو بعد ان قتل ضحيته . وفي الثالثة تصور تناقل اهل الحارة لخبر الفاجعة وتبجح القاتل وفخره بفعلته :

وسيأتي الفجر وتسأل عنهـا الفتيات
« أين تراها » ؟ فيرد الوحش « قتلناها »
« وصمة عـارفي جبهتنا وغسلناهـا »
وستحكي قصتها السوداء الجـارات

وفي المقطوعة الاخيرة تبلغ الذروة اذ تلخص مأساة المرأة في الشـرق التي تخشى ان تمارس بهجة الحياة خوفا من التقاليد التي نصبها الرجل حولهـا :

« يا جارات الحارة يا فتيات القرية : »
الخبـز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينـا
لنظل ثيابهم بيض اللون نقية
لا بسمة لا فرحة لا لفتة فالمدية
ترقبنا في قبضة والدنا واخينـا
وغدا من يدري اي قفـار
ستوارينـا غسـلا للعـار

وبعد ، فاحسب اني قد اطلت ، وارجو ان يغفر لي الجميع انني لـم اشر الى قصائد لاتقل روعة عما استشهدت به ، فعذري ان شعر الشباب المعاصر ملىء بالروائع بعكس مايتهمه المعارضون ، وفي هذه الايـام القليلة قد أعدت قراءة اكثر من ثلاثين ديوانا لشعراء الشباب كلهـا مليئة بما يستحق الخلود .

القاهـرة — **ملك عبد العزيز**

---

(١)و(٢) ص ١٨٤ من ديوان « الناس في بلادي »
( ٣ ) ديوان قصائد من نزار قباني
( ٤ ) ديوان « مدينة بلا قلب »
(٥) من قصيدة «رسالة الى مدينة مجهولة» ديوان «مدينة بلا قلب»

( ١ ) ص ١٠٥ « وحدي مع الايام » .
( ٢ ) ص ١٤٥ ديوان « قرارة الموجة » .